

تفسير القرطبي

مَوْسُوعَةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ شَامِلَةٌ عُنِيَتْ بِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ

يُعَدُّ تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ الْمَسْمُومِ «الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالْمَبِينُ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ السَّنَةِ وَآيِ الْقُرْآنِ» لِمَوْلَانِهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ فَرْحِ الْأَنْصَارِيِّ، الْخَزْرَجِيِّ، الْقُرْطُبِيِّ، الْمَالِكِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، الْمَتَوَفَى بِمِنِيَّةِ بَنِي خَصِينِبَ جَنُوبَ مِصْرَ سَنَةَ (671 هـ) - مَوْسُوعَةٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ الَّتِي عُنِيَتْ بِالْأَحْكَامِ، مَعَ الْاهْتِمَامِ بِبَيَانِ أَسْبَابِ النُّزُولِ، وَذِكْرِ الْقِرَاءَاتِ، وَاللُّغَاتِ، وَوُجُوهِ الْإِعْرَابِ، وَتَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ، وَبَيَانِ غَرِيبِ الْأَلْفَاظِ، وَتَحْدِيدِ أَقْوَالِ الْفُقَهَاءِ، وَجَمْعِ أَقَاوِيلِ السَّلَفِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْخَلْفِ. وَقَدَّمَ الْمَصْنُوفُ فِيهِ مِنَ الْاسْتِشْهَادِ بِأَشْعَارِ الْعَرَبِ، وَقَدْ نَقَلَ عَمَّنْ سَبَقَهُ فِي التَّفْسِيرِ، مَعَ تَعْقِيْبِهِ عَلَى مَنْ يَنْقُلُ عَنْهُ، كَمَا رَدَّ عَلَى الْفَلَّاسِفَةِ وَالْمُعْتَرِزَةِ وَغُلَاةِ التَّصَوُّفِ وَبَقِيَّةِ الْفِرْقِ، وَذَكَرَ مَذَاهِبَ الْأَثْمَةِ وَنَاقَشَهَا. وَيَمْتَّازُ هَذَا التَّفْسِيرُ عَمَّا سَبَقَ مِنْ تَفَاسِيرِ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى آيَاتِ الْأَحْكَامِ وَالْجَانِبِ الْفِقْهِيِّ مِنْهَا فَقَطُّ، بَلْ ضَمَّ إِلَيْهَا كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّفْسِيرِ.

قَدَّمَ الْقُرْطُبِيُّ لِتَفْسِيرِهِ مُقَدِّمَةً حَافِلَةً بِبَيَانِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ وَأَدَابِ حَمَلْتِهِ، وَمَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِهِ. ثُمَّ أَوْضَحَ مَقْصِدَهُ وَبَاعَثَهُ عَلَى كِتَابَةِ هَذَا التَّفْسِيرِ بِقَوْلِهِ: «وَعَمَلْتُهُ تَذَكُّرَةٌ لِنَفْسِي، وَذَخِيرَةٌ لِيَوْمِ رَمْسِي، وَعَمَلًا صَالِحًا بَعْدَ مَوْتِي».

وَكَانَ الْقُرْطُبِيُّ لَا يَقِفُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عِنْدَ مَا رَوِيَ مِنْ ذَلِكَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، بَلْ

وَقَدْ التَزَمَ الْقُرْطُبِيُّ فِي

يَتَّخِذُ مَا أُوْتِيَهُ مِنْ أَدْوَاتِ الْعِلْمِ وَسَيْلَةً يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى فَهْمِهِ، كَمَا كَانَ يَقْصِدُ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِبَيَانِ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ وَأَسْرَارِهِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ، وَمِنْ هُنَا اهْتَمَّ بِاللُّغَاتِ وَالْإِعْرَابِ وَالْقِرَاءَاتِ؛ كَمَا يُورَدُ الْآيَةُ ثُمَّ يُفَسِّرُهَا وَيُفَسِّرُهَا بِمَسَائِلٍ يَجْمَعُهَا فِي أَبْوَابٍ، فَيَقُولُ مَثَلًا:

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَفِيهِ أَرْبَعَةٌ أَبْوَابٍ؛ الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي فَضَائِلِهَا وَأَسْمَائِهَا، وَفِيهِ سَبْعُ مَسَائِلٍ (وَيَذْكَرُهَا).

الْبَابُ الثَّانِي: فِي نَزُولِهَا وَأَحْكَامِهَا، وَفِيهِ عَشْرُونَ مَسْأَلَةً. الْبَابُ الثَّلَاثُ: فِي التَّأْمِينِ، وَفِيهِ ثَمَانِي مَسَائِلَ.

الْبَابُ الرَّابِعُ: فِي مَا تَضَمَّنَتْهُ الْفَاتِحَةُ مِنَ الْمَعَانِي وَالْقِرَاءَاتِ وَالْإِعْرَابِ، وَفَضْلِ الْحَامِدِينَ، وَفِيهِ سِتُّ وَثَلَاثُونَ مَسْأَلَةً، وَهَكَذَا.

وَتَارَةً يَكُونُ التَّفْسِيرُ بِمَسَائِلٍ يُعْطِيهَا عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ دُونِ فَتْحِ بَابٍ، وَلَا ذِكْرَ عُنْوَانٍ. وَكَانَ الْقُرْطُبِيُّ فِي هَذِهِ الْمَبَاحِثِ أَوْ الْمَسَائِلِ يَنْتَقِلُ مِنْ تَفْسِيرِ الْمَفْرَدَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَإِرَادِ الشُّوَاهِدِ الشُّعْرِيَّةِ، إِلَى بَحْثِ اشْتِقَاقِ

وَقَدْ أَكْثَرَ مِنَ الْاسْتِشْهَادِ بِأَشْعَارِ الْعَرَبِ، وَنَقَلَ عَمَّنْ سَبَقَهُ فِي التَّفْسِيرِ، مَعَ تَعْقِيْبِهِ عَلَى مَا يَنْقُلُ عَنْهُ، مِثْلَ ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ الْعَرَبِيِّ، وَأَبِي بَكْرِ الْجَصَّاصِ.

وَمَا يُمَيِّزُ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ إِضْرَابُهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ قِصَصِ الْمَفْسِّرِينَ، وَأَخْبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَذَكَرَ جَانِبًا مِنْهَا أحيانًا. وَيَذْكَرُ مَذَاهِبَ الْأَثْمَةِ وَيُنَاقِشُهَا، وَيَمِشِي مَعَ الدَّلِيلِ، وَلَا يَتَعَصَّبُ لِمَذْهَبِهِ الْمَالِكِيِّ، وَقَدْ دَفَعَهُ الْإِنْصَافُ إِلَى الدَّفْعِ عَنِ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي نَالَ

مِنْهَا ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، فَكَانَ الْقُرْطُبِيُّ حُرًّا فِي بَحْثِهِ، نَزِيهًا فِي نَقْدِهِ، عَفِيفًا فِي مُنَاقَشَةِ خُصُومِهِ، وَفِي جَدَلِهِ، مَعَ إِلمَامِهِ الْكَافِي بِالتَّفْسِيرِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ، وَعُلُومِ الشَّرِيعَةِ.



التزم القرطبي بيان أسباب النزول وذكر القراءات ووجوه الإعراب وبيان غريب الألفاظ